دفاتر البحوث العلمية، المجلد 9، العدد 1، السنة 2021، الصفحة 84-94

أثر المنهج الكمي في الدراسات التاريخية - قراءة في كتاب مفهوم التاريخ لعبد الله العروي-

The effect of quantitative method on historical studies- Reading in the book of Abdullah Al-Larwi "The concept of history –"

بشير مبارك*[1]

المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة، الجزائر، مخبر الدراسات التاريخية والأثرية ، mebarekbachir862@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/02 ، **تاريخ القبول:** 2021/05/25 ، **تاريخ النشر:** 2021/06/08

ملخص: يعد البحث الكمي من أرقى وأحدث المناهج التي بات يستعين بها الباحثون في حقل التاريخ بغية إثراء بحوثهم، لخروجهم بتصورات أكثر دقة من البحث التقليدي القائم على أساس وصف الأحداث فقط، لذلك تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعريف بالبحث الكمي وتبيين دوره في البحث التاريخي .

الكلمات المفتاحية: التاريخ؛ الكم؛ التاريخ بالعدد؛ المنهج الكمي؛ المؤرخ الكمي .

Abstract: Quantitative research is one of the finest and latest approaches that researchers in the field of history use in order to enrich their research, and to come up with more accurate visualizations than traditional research based solely on the description of events, This paper aims to introduce quantitative research and demonstrate its role in historical research.

Keywords: History; quantity; History by number; quantitative method; quantitative historian

1- تمهيد :

إن المناهج البحثية في حقل التاريخ كثيرة ومتعددة منها المنهج الوصفي السردي، والمنهج التحليلي الاستقرائي، والمنهج المقارن،والمنهج الكمي، هذا الأخير يعد من أبرز المناهج الضرورية التي ينبغي على الباحث في هذا الحقل العناية بها خاصة وأن العديد من مصادر التاريخ العام وكتب الرحلات والجغرافيا اعتمدت على الكم في الإشارة إلى عدد السكان (الكانون) أو المسافات بين مدينة وأخرى (مرحلة)، والمكاييل والموازين، إضافة إلى الدواوين التي دونت فيها الضرائب، والخراج، والجند، والبريد...إلخ .

إذن إن المنهج الكمي منهج ضروري في أي دراسة تاريخية علما أن العديد من المؤرخين لا يعطونه أهمية كبيرة باستثناء أقلية قليلة منهم حاولت جمع تلك الإحصائيات وتحويلها من طبيعتها الوصفية إلى طبيعة رقمية منظمة في جداول ثم تحويلها إلى مختلف الأشكال والرسومات البيانية حسب طبيعة الحادثة قيد الدراسة .

اعتبارا لذلك كان موضوع المنهج الكمي والبحث التاريخي محور ورقتي البحثية هذه الموسومة بـ:" **أثر المنهج الكمي في الدراسات التاريخية - قراءة في كتاب مفهوم التاريخ لعبد الله العروي-**" خلالها سأقف عند التعريف بالمنهج الكمي وتبيان أهميته في البحث التاريخي، ومراحل تطوره، ثم أعرج عن تقديم وتحليل رأي الباحث عبد الله العروي حول المنهج الكمي في الدراسات التاريخية .

تتمحور الإشكالية التي تطرحها المداخلة في: أهمية المنهج الكمي في البحث التاريخي، وللإجابة عنها يترتب علي الإجابة عن تساؤلات فرعية أهمها:

- ما المقصود بالمنهج الكمي ؟
- ما العلاقة الموجودة بين المنهج الكمي والبحث التاريخي ؟
- ما الطريقة المثلى للاستفادة من هذا المنهج في البحث التاريخي ؟
- ما وظيفة المؤرخين في البحوث الكمية ؟
- من هو رواد هذه المدرسة في العالم العربي والإسلامي ؟
- ما الموقف المسجل لعبد الله العروي حول توظيف المنهج الكمي في البحث التاريخي ؟

أسئلة تطرح نفسها بإلحاح في هذه الدراسة، وللإجابة عنها كان لا بد من اعتماد واستخدام منهج تاريخي معين بالرجوع إلى المادة العلمية المبثوثة في مختلف أنواع المصادر التاريخية التي تناولت الموضوع أو طرقته في إحدى جوانبه

2- ضبط المصطلحات:

لضرورة منهجية يفرضها طابع البحث فضلت ضبط بعض المصطلحات المهمة في البحث منها "المنهج الكمي، التاريخ الكمي" بالرجوع إلى ما توفر لدينا من مادة علمية .

1-2 مفهوم المنهج الكمي:

قبل الحديث عن ماهية المنهج الكمي فضلت الحديث عن صنف العلوم، إذ يعتبر العلم الكيان النظامي للمعرفة يمكن تصنيفه إلى علوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية، الأول خاص بالظواهر التي تقع بشكل طبيعي مثل: (الضوء، والمواد، والأرض، والنجوم)، يظم هذا العلم حقول عدة منها: "العلوم الفيزيائية، وعلوم الأرض، وعلوم الحياة..."، أما الثاني فيشمل علوم المجتمع وسلوكاته الفردية والجماعية ويظم "علم سلوكيات الإنسان، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد" **(أنول باتشيرجي، 2015م، ص 14-15)** من دون أن ننسى العلوم الإنسانية بما تحتويه من تاريخ وجغرافيا وأدب ونحو وصرف...، هذه العلوم لا تحتاج فقط للمناهج التقليدية كالمنهج الوصفي، والمنهج المقارن والمنهج الاستقرائي ... فقط بل يتوجب على الباحث اعتماد المنهج الكمي والإحصائي لاستخراج مكنوناتها، لضرورة منهجية يتوجب علي التعريف بالمنهج الكمي .

عموما وجدت مجموعة من المفاهيم عرّفت المنهج الكمي ولكثرتها سأحاول تقديم نماذج منها فقط، مثل ما أورده الباحث أنول باتشيرجي في قوله :"المنهج الكمي هو مجموع التقنيات القياسية المساعدة على بناء المعرفة العلمية مثل طريقة أخذ الملاحظات الصحيحة وكيفية تفسير النتائج واستقرائها" **(أنول باتشيرجي، 2015م، ص23)**ما الباحث عامر قندجيلي فقد عرّفه أنه " نوع من البحوث العلمية التي تفترض وجود حقائق اجتماعية موضوعية منفردة ومعزولة عن مشاعر ومعتقدات الأفراد، وتعتمد غالبا على الأساليب الإحصائية، في جمعها للبيانات وتحليلها"**(عامر قندجيلي، د ت، ص 33) .**

إن البحوث التي تعتمد على المنهج الكمي تهدف إلى اختبار بعض الفرضيات التي تتعلق بوصف واقع معين من خلال بناء علاقات وقياس بعض المتغيرات واستخدام البيانات المتوافرة لإيجاد علاقة ارتباطيه، ويعتبر الاستبيان والمقابلة والملاحظة لوازم ضرورية في مثل هكذا منهج الذي يكون فيه الباحث بعيدا عن التحيز أثناء تحليل تلك البيانات**(عامر قندجيلي، د ت، ص –ص 34-40) .**

هذا المنهج ليس حكرا على علوم الطبيعة بل يمكن تطبيقه على العلوم الإنسانية والاجتماعية عن طرق جمع البيانات من مختلف المصادر ثم تحويلها إلى هيئة رقمية منتظمة في جداول عددية يمكن قراءتها آليا ثم تحليلها عن طريق برامج الحاسب الآلي مثل برنامج تحليل البيانات الإحصائية العلمية (spss) **(أنول باتشيرجي، 2015م، ص342) .**

غالبا ما يتم إتباع الخطوات التالية في عملية إعداد البيانات (ترميز البيانات أي تحويل البيانات إلى هيئة رقمية، ثم إدخال البيانات أي إدخال البيانات التي تم ترميزها إلى جدول بيانات أو قاعدة بيانات، ثم تحويل البيانات، ثم يأتي دور تحليل البيانات**(أنول باتشيرجي، 2015م، ص-ص 343-346) .**

2-2- مفهوم التاريخ الكمي:

وأما التاريخ الكمي فهو نهج إحصائي في البحث التاريخي الحديث ظهر خلال ستينات القرن الماضي استطاع يستند فيه المؤرخين على البيانات الرقمية والتحليل الإحصائي في كتابة التاريخ الجديد **(سيار الجميل، 1999م، ص 01)**، هذا المنهج يجعل من استخدام الأدوات الكمية والإحصائية والكمبيوتر وسائط حقيقية وعلمية في بناء الجداول واحتساب الأرقام ومعرفة الأوزان والتوغل في الكشف عن الحسابات والأحجام والأعداد، ومن خلال المقارنات تبدوا النتائج البحثية واضحة تساعد الباحث المؤرخ في استنباط الاستنتاجات الأخيرة وعليه يعتبر فرعا منهجيا في دراسة التاريخ ضمن تطور العلوم الاجتماعية والإنسانية **(سيار الجميل، 1999م، ص 01)** .

هذا المنهج عو ّ لت عليه كثيرا المدارس التاريخية العالمية الحديثة خاصة في دراسة التاريخ الاقتصادي، والتاريخ الديمغرافي، وتاريخ المدن الصناعية، وتاريخ الطبقة العاملة، والتاريخ الزراعي ، وتاريخ المدن، والأسواق، وتاريخ الأسعار...، وفي هذا المجال برزت أربع مجلات رائدة في العالم تهتم بهذا الشأن وهي (المناهج التاريخية 1967م، مجلة التخصصات التاريخية 1968م، ومجلة تاريخ العلوم الاجتماعية 1976م، ومجلة التاريخ الكمي والتطور الثقافي 2010م) **(سيار الجميل، 1999م، ص 01)** .

لقد ساهمت الثورة العلمية التي شهدتها المعمورة بداية من القرن الثامن عشر ميلادي دورا في بروز التاريخ الكمي بعدما برزت حركة طالبت بإنشاء التاريخ كعلم اجتماعي مكرس للبحث عن حقائق الماضي في تطبيقاته الصارمة بما يتوافق مع الطرح الدقيق للنظرية الاجتماعية والأساليب العلمية في دراسة السلوك البشري الماضي **(سيار الجميل، 1999م، ص 02)**.

إن أهداف ومطالب تلك الحركة تحققت على أرض الواقع في الولايات المتحدة الأمريكية بحيث صعد نجم التاريخ الكمي بعد اختراع الكومبيوتر في ستينات القرن الماضي فاستفاد منه أولا علماء الطبيعة، ومع مرور الوقت استفاد منه علماء الاجتماع فاكتشفوا مدى الاستفادة من هذه الأجهزة في الحصول على قاعدة بيانات تساعد على تنفيذ عمليات حسابية معقدة يحتاج الإنسان لحلها مدة زمنية طويلة، ثم لحق المؤرخون ركب الاستفادة من الكمبيوتر فانتقلوا من بطاقات الملاحظة إلى ملفات الكمبيوتر وقد شارك مجموعة من المؤرخين في مشاريع البحوث المحسوبة في عقد السبعينات فكان ذلك مؤشرا على دخول الدراسات التاريخية ثورة الحاسوب للوصول إلى برامج الدراسات العليا في دراسة التاريخ، ومع مرور الوقت تزايد عدد الباحثين الشباب الذين ولجوا دورات تكوينية خاصة لإدخال البيانات وتحليلها بمختلف البرامج مثل (spss) خاصة في موضوع دراسة عدد السكان عبر مختلف العصور التاريخية**(سيار الجميل، 1999م، ص 02-03)** .

3- مهمة المؤرخ الكمي:

قبل الحديث عن مهمة المؤرخ الكمي تجدر الإشارة إلى أن أكبر مستودع في العالم خاص بالتاريخ الكمي يوجد في قلب جامعة ميتشغان الموسوم بـ: **"كونسورتيوم للبحوث السياسية والاجتماعية"** تتوفر فيه قاعدة بيانات واسعة تشمل مواضيع السياسة، والمجتمع**(سيار الجميل، 1999م، ص 03)** ، أما عن مهمة المؤرخ المهتم بالبحث الكمي فتتمثل في ضرورة توفير قاعدة بيانات دقيقة يمكن توفيرها من خلال الرجوع لمختلف الكتب والوثائق الأرشيفية أو المقابلات الشخصية، إضافة إلى ضرورة الإستفادة منها فالمنهج الكمي لا يمكن تطبيقه إلا بتوفر قاعدة بيانات خاصة بالمشكلة أو الحادثة قيد الدراسة**(سيار الجميل، 1999م، ص 01)** .

ومن مهامه أيضا ضرورة التنويع في البيانات المراد تحصيلها إذ بإمكان المؤرخ الكمي أن يستفيد من البيانات الاقتصادية الخاصة بالتعداد السكاني، العملات، الأسعار حتى يساهم في إيجاد تاريخ اقتصادي لظاهرة ما في بلد ما، كما بإمكانه أن يستفيد من بيانات سياسية لبناء تاريخ سياسي خاصة وأنه قلّما يوظف المنهج الكمي في التاريخ السياسي وهنا تشير الدراسات أن توظيف المنهج الكمي في التاريخ السياسي محدودة جدا مثل السلوك الانتخابي، الرأي العام، ومعدل اندلاع الحروب ويعتبر هذا من أبرز مهام التاريخ الكمي، إذ يتوجب على المؤرخ في هذا المجال أن يتحصل على قاعدة بيانات تخص القرارات والتشريعات**(سيار الجميل، 1999م، ص 04)**، وبإمكان المؤرخ الكمي أن يوظف المنهج الكمي في المواضيع الثقافية لذا توجب عليه بذل مجهود للحصول على قاعدة بيانات تخص هذا المجال خصوصا وأن ولوج هذا النوع من البحوث –التاريخ الثقافي- يعد من أمتع ما يزاوله المؤرخ الكمي وذلك بالرجوع إلى الكتب القديمة، والشعر، والوثائق وهنا وجب الإشارة إلى أن الفرابي يعتبر أول من أسّس التاريخ الكمي الثقافي ويظهر ذلك في كتاب الموسوم بـ: **"إحصاء العلوم"**، وأما المواضيع التي لها صلة بالتاريخ الكمي الثقافي فيمكننا حصرها فيما يلي:"الكتب، المؤلفين، الخطاطين،النساخ، التجمعات الثقافية، الأشعار والقوافي، اللهجات، العادات والمعارف التقليدية، الأسواق الثقافية، الرسوم والخرائط، دور النشر، المؤتمرات الثقافية ...." **(سيار الجميل، 1999م، ص 04)** .

04- أهمية توظيف التاريخ الكمي من خلال كتاب مفهوم التاريخ لعبد الله العروي:

4-1 نبذة عن عبد الله العروي:

لم تسعفنا الدراسات في تقديم نبذة عن المفكر المغربي عبد الله العروي لذلك استندت إلى بعض المواقع الإلكترونية التي عرّفت به، فالرجل هومؤرخ مغربي، ولد في مدينة أزمور سنة 1933م**(ريتاج فرح، 2013م، د ص)**، درس في الرباط وحصل على عدة شهادات أكاديمية نذكر منها: شهادة العلوم السياسية سنة 1956م، وشهادة الدراسات العليا في التاريخ سنة 1958م، وشهادة التبريز في الإسلاميات سنة 1963م، وحصل على

شهادة الدكتوراه من جامعة السربون سنة 1976 بعد ما قدم أطروحة موسومة بـ:" **الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية 1830-1912م**"، كلّف من قبل نظام المخزن –الملك الحسن الثاني- بالتوجه إلى أوروبا لإقناع قادة اليسار الأوروبي بالتخلي عن حملته ضد المملكة المغربية، يعتبر عبد الله العروي من أبرز أعضاء عضو الأكاديمية في المغرب وفي المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان، هذا ويعد من أكثر المفكرين العرب المعاصرين إثارة للجدل**(ريتاج فرح، 2013م، د ص)**، انطلقت شهرته في سبعينات القرن الماضي من خلال كتابه "**الإيديولوجيات العربية المعاصرة**"الصادر باللغة الفرنسية وازداد شهرة بفضل ترجمته إلى العربية **(قراءة في كتاب" مفهوم التاريخ"، http://cfijdida.over-blog.com/article-31301943.html)** له عدة أثار مطبوعة منها سلسلة المفاهيم:"مفهوم التاريخ، مفهوم العقل، مفهوم الدولة، مفهوم الحرية، مفهوم الإيديولوجيا"، إضافة إلى كتاب اليتيم، وكتاب " مجمل تاريخ المغرب"، وكتاب ثقافتنا في ضوء التاريخ" وكتاب الإسلام والحداثة، وكتاب السنّة والإصلاح، وكتاب من ديوان السياسة، وله عدة روايات منها اليتيم والغربة، والفريق**(ريتاج فرح، 2013م، د ص)**.

من خلال آثاره يبدوا أن المفكر المغربي موسوعي ملم بمجموعة من التخصصات فهو مفكر ومنظر، ومؤرخ، وأديب، وشاعر وروائي، لكن الملاحظ عليه من خلال مؤلفاته أو من خلال الشهادات العليا التي تحصل عليها أنه يميل كثيرا إلى فن التاريخ أو متخصص فيه، فجل كتاباته تاريخية نذكو منها على سبيل المثال لا الحصر كتابه الموسوم بـ:" **الأصول الاجتماعية والثقافية للحركة الوطنية للمغرب 1830-1912م**"، وكتابه "**تاريخ المغرب**"، وكتاب :"**مجمل تاريخ المغرب**"، وكتاب "**مفهوم التاريخ**"، هذا الأخير يعتبر جزء من دراستي هذه باعتبار أن أحد فصوله خصصها الباحث للحديث عن التاريخي الكمي .

2-4 نبذة عن كتاب مفهوم التاريخ:

جاء الكتاب تحت عنوان:**"مفهوم التاريخ الألفاظ والمذاهب المفاهيم والأصول"**، صدر عن المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، الطبعة الرابعة 2005م ، عدد صفحاته 432 صفحة، قياسه 17× 24، ترقيمه الدولي : isbn:9953-68-035-3 .

يقع كتاب **"مفهوم التاريخ الألفاظ والمذاهب المفاهيم والأصول"** في جزأين، جاء الجزء الأول بعنوان: **الألفاظ والمذاهب**، قسم إلى مدخل وأربعة أقسام، بدأ المدخل بطرح تساؤل هو: هل للتساؤل معنى؟ أما القسم الأول فجاء موسوم بـ: تساؤلات منهجية، يحتوى هذا القسم على أربعة فصول عالج فيها الباحث مجموعة من النقاط هي: التاريخ، المؤرخ، منهج المؤرخ، نقد أم تجاوز، وأما القسم الثاني فكان بعنوان:"مفاهيم" قسمه الباحث إلى ثلاثة فصول عالج فيها النقاط التالية:" الحدث، الشاهدة، النقد، وعنون القسم الثالث بـ: تاريخيات" الأسطوغرافيا": قسمه إلى عشرة فصول عالج فيها مجموعة من النقاط تخص التاريخ وهي:" التاريخ

بالخبر، التاريخ بالعهد، التاريخ بالتمثال، والتاريخ بالأثر الطبيعي، التاريخ بالعدد، التاريخ بالموروث، التاريخ بالحلم، التاريخ بالمفهوم، تاريخ أم تواريخ، درس التاريخيات، أما القسم الرابع فعنونه بالإستشراق **(عبد الله العروي، 2005م، ص-ص 05-11) .**

وأما الجزء الثاني فقد عنونه بـ:" **المفاهيم والأصول**" قسمه إلى قسمين هما القسم الخامس والقسم السادس، فالقسم الخامس سماه بمنطق المؤرخ وقسمه إلى خمسة فصول عالج فيها مجموعة من الإشكالات وهي:" المشكل تاريخيا، التعريف، التحليل، التألفة، من المؤرخ إلى التاريخ، والقسم السادس جاء تحت عنوان :" منطق التاريخ" قسمه إلى أربعة فصول عالج فيها النقاط التالية: التاريخ والحقيقة، التاريخانية ونقد المنطق، عودة المنطق أو نقد التاريخانية، التأصيل، وفي الأخير وضع خاتمة لكتابه ضمت مجموعة من الاستنتاجات سماها المفهوم يعمل **(عبد الله العروي، 2005م، ص-ص 05-11).**

إن ما يهمني في كتاب مفهوم التاريخ هو الفصل الخامس من الجزء الأول الذي عنونه بـ: " **التاريخ بالعدد**" حيث خصصه الباحث للحديث عن التاريخ والكم أو التاريخ الكمي الذي له علاقة بموضوع مداخلتي، في هذا الفصل وضع عبد الله العروي مجموعة من العناوين وهي: تمهيد للفصل، الإنسان المنتج، الحاسوب، الجداول، المستوى الثالث، نقد المنهج، تحديد أم نفي؟

استقى الباحث مادته العلمية في هذا الفصل من مصادر ومراجع متنوعة مكن أن نحصرها فيما يلي:"ليفي-لوبويه"**التاريخ الاقتصادي الجديد**"، والت روستو"**مراحل النمو الاقتصادي**"، فلود " **المدخل إلى التاريخ الكمي**"، فرانسوا سيميان" **الأجرة، التطور الاجتماعي والعملة**"، فروجه" **نقد النصوص بوسائل الآلة**"... إلخ .

وفيما يلي سأقدم محتوى هذا الفصل وأبرز النقاط التي توقف عندها الباحث المغربي، ففي مستهله وضع تمهيدا بدأه بمقولة اشتهر بها الباحث والمفكر فرانسوا فوره في قوله:"**التاريخ بالأرقام ثورة في فهم التاريخ**" .

3-4 عوامل ظهور التاريخ الكمي:

إن الباحث في هذا الفصل ربط ظهور ما يعرف بالتاريخ الكمي الذي عبر عنه بعبارة"**التاريخ بالعدد**" وهو عنوان الفصل الخامس من كتاب مفهوم التاريخ بالمجتمع الأمريكي الذي شهد الثورة الاقتصادية الرأسمالية وما صاحبها من ثورة صناعية خاصة بعد اختراع الحاسوب الإلكتروني وبذلك توجهت الدراسات التاريخية صوب الاهتمام بالتاريخ العددي الذي استند على الاقتصاد والإحصاء"وسبب ذلك هو أن الأمة الأمريكية نشأت في عصر الثورة الرأسمالية الديمقراطية...فأحرى أن يظهر التاريخ الاقتصادي الجديد... **(عبد الله العروي، 2005م، ص136)**" .

هذه الثورة التي شهدها المجتمع الأمريكي كانت مسئولة بدرجة كبيرة عن ظهور مصلح **"كليو متريكس"** التي تعني التاريخ الكمي بناء على كلمة **"اكونومتريكس"** التي تعني الاقتصاد الكمي، واستنادا على هذا المنهج ألفت عدة مؤلفات نذكر منها كتاب الباحث ليونتيف الموسوم بـ:**"بنية الاقتصاد الأمريكي من سنة 1919-إلى سنة 1939"(عبد الله العروي، 2005م، ص136).**

إذن من خلال ما سبق ذكره استنادا على ما أقره الباحث المغربي عبد الله العروي وباحثين عرب آخرين في صورة سيار الجميل صاحب كتاب **"المجايلة التاريخية"** فإن الاتجاه المنهجي في البحوث التاريخية – الاتجاه الكمي- ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية وفيها تطور ونمى ثم انتقل إلى أوروبا الغربية فباقي دول العالم بفضل اختراع الحواسيب الالكترونية القادرة على تخزين مئات الآلاف من المعلومات، الأمر الذي يسّر على الباحثين عملية إنجاز بحوثهم في مدة زمنية قصيرة بحيث وفّر الحاسوب لهم وقت طويل يقول عبد الله العروي:" فالإنجاز الذي كان يتطلب تضافر جهود عشرات الباحثين على مدى سنين عديدة أصبح في متناول فرد في ظرف زمني معقول..." **(عبد الله العروي، 2005م، ص137)** ، ومن هنا انطلقت ثورة العدد في حقل التاريخ، أو كما عبّر عنها صاحب الكتاب قيد التقديم بثورة الكم أو الرقم. **(عبد الله العروي، 2005م، ص137)**

4-4 أهمية المنهج الكمي في البحث التاريخي:

بعد ذلك يعرج الباحث للحديث عن التاريخ المكتوب بالعدد فربطه بالإنسان المنتج وبالثورة العلمية الصناعية التي كلّلت باختراع الحاسوب الذي غيّر ظروف عمل الباحثين في شتى حقول العلم والمعرفة،

إن الباحث يرى أن ظهور التاريخ الكمي ليس وليد ستينات القرن الماضي المرتبطة باختراع الحاسوب بل أن هذا النوع من التاريخ ضارب في العصور التاريخية السحيقة حيث استخدمه الفراعنة كما استخدمه الفرس والرومان كذلك المسلمين من خلال وضعهم لنظام الدواوين "خراج، عسكر، بريد" فتلك الإمبراطوريات أعطت أهمية قصوى لإحصاء كل ما هو فموجود في مجالها الجغرافي لتحقيق أغراض معينة فعملت على إحصاء السكان، الأراضي، المواشي، طرق التجارة، المعادن، الرقيق، ...، هذه الأمور يمكن للباحث في حقل التاريخ الوسيط أن يستشفها خاصة من كتب الرحلة والجغرافيا، من دون أن ننسى بقية الباحثين المتخصصين في مختلف الحقب التاريخية**(عبد الله العروي، 2005م، ص138).**

لكن الملاحظ أنه وجدت دول استطاعت أن تحافظ على ذلك الإرث الإحصائي المتراكم عبر مختلف العصور الذي يسهل عملية دراسة أي حادثة بشكل دقيق بالاستناد على المنهج الكمي، في صورة دول أوروبا الغربية، "فرنسا بريطانيا..." إضافة إلى أمريكا واليابان وفي المقابل وجدت دول أخرى رغم وفرة الوثائق الإحصائية إلا أنها فشلت في الحفاظ عليها وهذا راجع لعدة عوامل فالدول الأولى لم تتعرض لهجمات خارجية في صورة دول

أوروبا الغربية على عكس دول العالم الإسلامي التي تعرضت لهجمات صليبية خلال العصر الوسيط وحركة استعمارية خلال العصر الحديث فأحرقت ممتلكاتها الثقافية وصودر جزء منها، هذا من جهة ومن جهة أخرى وجد لدى الدول الغربية مؤسسات محمية منعت المقاتلين والنهاب من مصادرة تلك الوثائق عكس دول العالم الإسلامي مثلا**(عبد الله العروي، 2005م، ص138)**، هذه العوامل ساعدت على ظهور ثورة العدد التي في جورها ما هي سوى معاملات اقتصادية أدت إلى ظهور ما يسمى بتاريخ الإنسان المنتج**(عبد الله العروي، 2005م، ص138) .**

من خلال طرحه هذا يتضح أن هناك علاقة وطيدة بين الاقتصاد والتاريخ إذ يبدوا ذلك جليا من خلال الأزمة الاقتصادية العالمية سنة 1830م التي ضربت نيويورك لم تكن وليدة تلك السنة بل ترجع إلى فترات سابقة لها وهذا ما تبين من خلال الأبحاث التي قام بها مجموعة من الباحثين بعدما حشدوا أعداد هائلة من الجداول الخاصة بالأسعار والأرباح والأجور التي لم يتمكنوا من توظيفها إلا باستعمال أدق التقنيات الإحصائية "الحاسوب، برنامج spss " هذا ما يتضح في أعمال الباحث الفرنسي فرانسوا سيميان الذي عاد إلى كتب التاريخ واستخرج منها معلومات رقمية كون من خلالها جداول منسقة ثم أجرى عليها معادلات إحصائية كشف من خلالها على علاقات خفية ترتفع فيها الأرباح والأسعار ومقادير الإنتاج، وحقبة انكماش وانحصار تنخفض معها كل المؤشرات السابقة **(عبد الله العروي، 2005م، ص140).**

إن تلك النتائج ما كان ليتوصل إليها هذا الباحث وأمثاله ما لم يستعين بالحاسوب الذي سهل العمليات الحسابية، إذ تمكن من استغلال وثائق لا تمس الإنتاج مباشرة فلم يعد التعبير بالعدد وقفا على إنتاج البضائع والاتجار بها، هذه الثورة غير ّ ت مسار البحث التاريخي**(عبد الله العروي، 2005م، ص141) .**

وبعد انتهاء الباحث عن الحديث عن الإنسان المنتج يبدأ في الحديث عن الثورة الرقمية التي أحدثها الحاسوب بحيث تضاعفت القدرة الحسابية وأدخل العدد في ميدان خارج الميدان المادي**(عبد الله العروي، 2005م، ص-ص 05-11)** (البحث التاريخي) وفي هذا الحقل حتى يكلل عمل المؤرخ بالنجاح يحتاج إلى عمل شاق بتحضير أرقام كثيرة مرتبة في جداول يغذي بها الحاسوب باعتبار أن تلك الجداول هي أساس الثورة الأسطوغرافية حسب ما ذهب إليه الباحث "فوره"**(عبد الله العروي، 2005م، ص141-142)**، وهنا يشير العروي أن كتابة التاريخ بالعدد لا تتم إلا إذا وجدت تواليات عددية فكلما انعدم التوالي وانقطع التسلسل قلت حظوظ كتابة هذا النوع من التأليف التاريخي، والمجتمعات التي لا يكتب فيها التاريخ وفق هذا النمط – التاريخ بالعدد- هي مجتمعات متخلفة لأن رأسمال والإحصاء والتنمية ظواهر مترابطة**(عبد الله العروي، 2005م، ص142) .**

ثم يقدم الباحث مثالا عن كيفية تحويل النصوص الوصفية إلى جداول عددية، فمعروف أن سلاح المؤرخ في أبحاثه "الوثائق، كتب رحلات، جغرافيا، أرشيف، طبقات، تراجم..."، بإمكانه تحويل تلك المعلومات الوصفية إلى جداول عددية لنفترض أنها تخص تغير الأسماء، أو القبائل والبطون، هذا النوع نهج جديد في التوثيق أي استبدال الوثائق الوصفية بأخرى عددية، لكن ما يلاحظ على الوثائق الوصفية أنها لا تبدي للقارئ البسيط التغيرات التي طرأت على الأسماء والكنى في منطقة ما عبر مختلف الفترات التاريخية لكن عندما تحول لكن عندما تحول الوثائق الوصفية إلى أرقام موزعة على جداول في الحاسوب يبدوا ذلك التطور الواضح عبر جميع المراحل، هذا ما كان ليتم لولا قدرة الإحصاء على كشف المخفي منه، هنا يجد المؤرخ نفسه أمام دراسة كمية**(عبد الله العروي، 2005م، ص145).**

4-5 مراحل دراسة التاريخ بالعدد:

يشير الباحث عبد الله العروي أن دراسة التاريخ بالعدد مر بثلاث مراحل أو كما سماها بالمستويات، فيشير أن المرحلة الأولى(المستوى الأول) من دراسة التاريخ بالعدد بدأت بدراسة الإنتاج والمبادلات في الفترات الإحصائية، وفي المستوى الثاني (المرحلة الثانية) انتقل إلى دراسة السكان وحياة الأسرة في المجتمعات والفترات الإحصائية وفي المستوى الأخير ولج دراسة النفسيات والعقائديات في كل المجتمعات رغم صعوبة هذه الدراسات إلى أن الباحثون اندفعوا نحو تعبئة الوثائق وتأويل النتائج الإحصائية لفوائدها الكثيرة منها: الكشف عن أحكام المؤرخين التقليديين من خلال دقة العمليات الإحصائية في تقرير الفرضيات، مساعدة الحاسوب في العملية الحسابية أوجد متسع من الوقت لضبط الفرضيات وتأويل النتائج ، إضافة إلى أن البحث الكمي سمح بالتعرف على التغيرات الطارئة على مختلف مواضيع البحث عبر العصور التاريخية وهذا ما يفرض إعادة النظر في البحوث التاريخية التقليدية، والفائدة الرابعة أن كل أعمال البحوث التاريخية العددية تفتح الطريق لإدخال العدد في دراسة ميادين جديدة[i].

5- الخلاصة:

- ظهور التاريخ الكمي مرتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع الأمريكي .

- اختراع الحاسوب يعتبر عاملا رئيسا في بروز منهج البحث الكمي .

- ما يزال إقبال الباحثين في حقل التاريخ على التاريخ الكمي ضعيفا جدا خاصة في العالم الإسلامي .

- يجب على الدارسين للتاريخ أن يبتعدوا عن المناهج التقليدية في دراساتهم وأبحاثهم وذلك لا يتم إلا بتحديث آليات البحث .

- إن دراسة التاريخ العربي والإسلامي عبر مختلف العصور التاريخية يحتاج إلى دراسات تاريخية عميقة التي لا تتم إلا بوجود كوكبة من المؤرخين الأذكياء .

- إن كتابة تاريخنا السياسي والاقتصادي والاجتماعي بحاجة ماسة إلى الاعتماد على المنهج الكمي .

- قائمة المراجع:

أ- المراجع:

01- أنول باتشيرجي، 2015م، **بحوث العلوم الاجتماعية المبادى والمناهج والممارسات**، ترجمة خالد بن ناصر آل حيان، الطبعة العربية الثانية، عمان الأردن، دار اليازور العلمية للنشر والتوزيع .

02- ريتا فرج، السبت 2013م، يوليو، **المنهج والقطيعة المعرفية** ، 2013م، جريدة الحياة (صحيفة يومية سياسية عربية مستقلة) .

03- سيار الجميل، 1999م، **التاريخ الكمي، المجايلة التاريخية : فلسفة التكوين التاريخي (نظرية رؤيوية في المعرفة العربية الإسلامية**، ط 01، بيروت، لبنان، الأهلية للنشر والتوزيع .

04- عبد الله العروي، 2005م، **مفهوم التاريخ الألفاظ والمذاهب المفاهيم والأصول**، ط 04، الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي .

05- عامر قندجيلي، إيمان السامرائي، د ت، **البحث العلمي الكمي والنوعي**، د ط، عمان، دار اليازوري.

ب- المواقع الالكترونية:

01- http://cfijdida.over-blog.com/article-31301943.html قراءة في كتاب" **مفهوم التاريخ**"،